

المقدمة

الكسل مرض عام ، وبلاء شامل ، خيم على النفوس ، وجثم على القلوب ، وسكن في الأعصاب ، ومشى في العروق ، وامتزج بالدماء ، كثر ضحاياه ، وتعددت رزاياه ، فلم ينج منه أحد ، ولم يسلم منه بشر - إلا من رحم الله تعالى - أمات الهمم ، وأطفأ الحماس ، وجلب الذل ، وزرع الخذلان ..

الكسل هو الوباء الوخيم ، والخطر الجسيم ، والداء العضال ، سرطان في الدم ، وفيروس في القلب ، وشلل للجسم ، وجُلطة للفكر ، بل قد يكون أكثر بأساً وأشد تنكيلاً .

الكسل داء مقيت ، وخلق ذميم ، ومرض قاتل ، وخطر فتاك ، يقتل الهمم ، ويفتك بالعزائم ، ويحطم الإرادة ، إن استشرى في أمة فك عزمها ، وكسر شوكتها ،

وأوهن قواها ، وهبط بقيمتها ، وأذل كرامتها ، وأرغم أنفها ، وأضاع مجدها ، وطمّع فيها عدوّها ، وإن تلبس به إنسان ، أضعف قواه ، وهبط بمستواه ، وأثقل جسده ، وأتلف همّته ، وعطل فكره ، وجمّد عقله ، وقطع إبداعه ، ومحق رزقه ، فهو مجلبة للذل ، مدعاة للهوان ، مصيدة للشيطان .

والكسل .. سمة ذميمة ، وخصلة لئيمة ، وصفة بغیضة ، ويكفي دليلاً على خزيه ، وتأكيداً على مقته ، أنه صفة المنافقين ، وعلامة المارقين ، وديدن المتحذلقين ، خصوصاً في إقبالهم على رب العالمين ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ .

[النساء : ١٤٢]

فهم أشداء في الباطل ، أقوياء في المعصية ، سباقون إلى الشهوات ، مسارعون إلى الملذات ، إذا ذُكرت لهم الدنيا ، وحُدثوا عن الشهوات ، خفقت قلوبهم ، واستبشرت نفوسهم ، وقويت هممهم ، وإذا ذُكرت لهم

الصلاة ، وحدثوا عن العبادة ، كأنما ثُلجَتْ أعصابهم ،
وجُمِدَتْ عروقهم ، وتسمرت أقدامهم ، التصقوا بالتراب ،
وإناقلوا إلى الأرض ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ .

[الزمر : ٤٥]

وكلمة الكسل لم ترد بلفظها في القرآن إلا مرتين ،
وهي في وصف المنافقين وكسلهم عن الصلاة ، وذلك في
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا
قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾ . [النساء : ١٤٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ . [التوبة : ٥٤]

وحيثما وردت في السنة ، وردت في موضوع الصلاة
نفسه ، والغرض ذاته ، فتأمل قوله ﷺ : « يعقد الشيطان
على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام ، بكل عقدة

يضربُ عليك ليلاً طويلاً ، فإذا استيقظَ فذكر الله ،
انحلت عقدة ، وإذا توضأ ، انحلت عنه عقدتان ، فإذا
صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا
أصبح خبيث النفس كسلان » . [مسلم : ١٢٩٥]

وحينما تتأمل هذه النصوص تتجلى لك فائدة لطيفة ،
ونكتة طريقة ، وهي : أن ارتباط الكسل بالصلاة دليلٌ
على أنها من أشق التكاليف على الإنسان ، فهي العبادة
المتكررة في اليوم واليلة ، وهي التي يحرص الشيطان غاية
الحرص على التثبيط عنها ، أو التشويش على صفائها ،
وهي التي قد تتعارض مع كثير من الرغبات والشهوات
والمحوبات ، كالانشغال باللذائذ أو حب الخلود إلى النوم ،
وما إلى ذلك من العوائق التي تقف في طريق المصلي ،
والتي هي كثيرة وكبيرة إلا على الخاشعين ﴿وَأَسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ، فالذي ينجو
من الكسل في الصلاة فلن يكون بحال من الأحوال
كسلان في غيرها من العبادات ، بل إن المصلي النشط ،
لن يكون كسلان في حياته كلها ، فإن الصلاة تملأ حياته

حيوية ونشاطاً ، وتوثباً وطموحاً .

وقد ورد الكسل في كلامه ﷺ على سبيل الدعاء في السلامة منه والنجاة من شره ، وقد كان ﷺ كثيراً ما يردد هذا الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل » . [صحيح النسائي : ٥٠٣٥]

لأن الكسل إذا حلّ بشخصٍ حطمه ، وإن سكن بقلب أوهنه ، وإن نزل بقوم فساء صباحهم ، وتعس مساءهم ، وخاب رجائهم ، وتلاشت آمالهم ، وتهافتت قواهم ، وتفككت عراهم .

الكسل .. طريق الشيطان المفضل ، وسبيله المحبب ، ومطيته الناجحة ، وبضاعته الرابحة ، يحقق به المكاسب ، ويُحصِّل به المآرب ، ويصنع به العجائب ، يحول به بين المرء وقلبه ، والمسلم وإيمانه ، والمصلي وصلاته ، والعابد وعبادته ، والمجتهد واجتهاده ، والدول وطموحها ، والأمم وفلاحها ، والشعوب وصلاحها .

كم من طالب مجد قعد به الكسل ، وكم من خاطب

فوزٍ نكص به الخمول ، وكم من طالب علم حرمه الوهن ،
وكم من عاشقٍ للجنة خذله العزم ، وضيعه التقاعس ،
وكم من صاحب مالٍ أفقره التهاون ، وأذلتة الاتكالية ،
وكم من رب أسرة ضاعت أسرته ، وفسد أبناؤه ، وشقيت
بناته ، نتيجة لكسله ، وعاقبة لإهماله ، وجزاء لتهاونه .

وإن من أعظم الرزايا ، وأشد المصائب ، برودُ الهمم ،
وفتورُ العزائم ، وتدني الآمال ، وكسل الأجسام ، وخور
الأفكار ، وهو ما ابتليت به أمة الإسلام اليوم .

لذلك سنعرض بإيجاز لبعض مظاهر الكسل وأنواعه ،
ودواعيه وأسبابه ، ومضاره ومخاطره ، وطرق الوقاية منه ،
والتخلي من ربقته ، سائلين المولى جل وعلا أن يأخذ
بأيدينا ، وأن يقوي عزائمنا ، وأن يشرح صدورنا ، ويسر
أمورنا ، فعليه توكلنا ، وباسمه نبدأ .